الفصل الثالث

عَقَبات مُزيَّفة فِي طَرِيق إسْلام الوَجْه لله

obeikandl.com

obeikandl.com

عقبات مزيفة فى طريق إسلام الوجه لله
ـ أو : الإسلام وتحرير الشخصية ـ

إذا فهم التوحيد على حقيقته واتخذه الإنسان شعاراً له وطابعاً فإنه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف ألوانه وأشكاله.

والإنسانية فى مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت وتخشاه، وهذا يقودها إلى الاستعباد للأقوياء، والذلة أمام الطغاة.

ولكن هذا الوضع لا يتماشى قط مع عقيدة التوحيد ، فإن مالك الملك إنما هو وحده الذى يملك الموت والحياة ، إنه يملك إماتة الطغاة أو تركهم لحكمة يعلمها سبحانه ، وهو الذى قَدَّر الآجال وحدَّدها .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١).

والحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب إطالة الأجل .

والشجاعة والإقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل .

وقد بين الله ذلك فى كتابه الكريم إبانة تامة .

وكما أنه لكل أجل كتاب فإنه لكل أمة أجل .

أما هؤلاء الذين قالوا :

﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف : ٣٤.

(٢) سورة آل عمران : ١٥٤.

فإن الله سبحانه يرد عليهم:

﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾(١).

وهؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا :

﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾(٢).

فإن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أن يرد عليهم قائلاً :

﴿ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣).

أما الذين يفرُّون أمام أعداء الله فهؤلاء :

﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾(٤).

إذن : المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف الجبن ، ولا يستزله الشيطان موسوساً له بالخوف من غير الله تعالى .

وإذا كان خوف الموت هو الدعامة الأولى فى ذلة الإنسان واسترقاقه، فإن الدعامة الثانية هى هَمُّ الرزق.

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤.

(٢)، (٣) سورة آل عمران : ١٦٨.

(٤) سورة آل عمران : ١٥٥.

والناس عادة ينتابهم القلق ، ويغمرهم الحرص على أقواتهم ، ويلجأ بعضهم إلى وسائل لا تليق بالكرامة الإنسانية . . بل يصل الأمر بالبعض إلى مستوى التملق والمداهنة والمراءاة، وبعضهم يصل به الأمر إلى الغش والرشوة والاختلاس ، وتستعبد المادة والحصول عليها الإنسان فيصبح لها عبداً مُسترَقّاً.

ولكن الإسلام وقد حرَّر المجتمع الإسلامى من خوف الموت فقد حرره أيضاً من هم الرزق ، فالرزق بيد الله :

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾(١).

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢).

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى ، أن الرزق فى السماء محدَّد مقسوم، وأقسم سبحانه على أن ذلك حق واقع ، لقد أقسم سبحانه لما يعلم من ضعف الطبيعة البشرية وإشفاقها وقلقها بالنسبة لأمر الرزق.

يقول سبحانه :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ

---

(١) سورة هود : ٦.

(٢) سورة فاطر : ٢.

مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

على أن صاحب الثراء العريض الذى يعتمد على ثرائه غير ناظر إلى الله تعالى ـ واهب الرزق والثراء ـ قد يخسف الله به وبداره الأرض كما صنع بقارون[2] ، أو يطوف ببساتينه ومزارعه طائف منه سبحانه فتصبح خاوية على عروشها كما فعل سبحانه بأصحاب الجنة الذين قص علينا أمرهم فى القرآن الكريم فى سورة القلم[3] .

وما من شك فى أن السعى على الرزق مطلوب ، وأن العمل الجاد الكادح إنما هو من سمات الإسلام ، كل ذلك حق ، وإذا كان الرزق بيد الله تعالى ، وإذا كان العمل مطلوباً ، فإن ما ينهى عنه الإسلام إنما هو هذه الصورة الجشعة التى تحاول اقتناص المال من السبل غير المشروعة ، وهذه الصورة القلقة التى ترى أن عبداً من عباد الله بيده الرزق إعطاء ومنعاً، وبيده الرزق زيادة ونقصاً ، أو أخذاً وتركاً فتستخزى أمامه وتذل.

وقد حرر الإسلام ـ بموقفه هذا ـ المجتمع الإسلامى من أن يكون هم الرزق سبباً فى ضعفه أو ذلته.

والمصدر الثالث من مصادر استعباد الإنسان وذلته : إنما هو وهم الحرص على الوظيفة أو المكانة الاجتماعية ومن أجل ذلك يسير

(١) سورة الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) انظر سورة القصص : ٧٦ ـ ٨٢ .

(٣) انظر سورة القلم : ١٧ ـ ٣٢ .

بعض الناس فى هذه الحياة وكل همه الاحتفاظ بوظيفته ، أو المحافظة على مكانته، فيتزلف ويرائى ويعيش مطأطأ الرأس منحنياً فى ذلة وهوان، وتلك نزعة يحاربها الإسلام ويحاول أن يجتثها من الوسط المسلم، وفى الحديث تلك النصيحة الحكيمة:

« واعلم أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يَضُرُّوك بشىء ما ضَرُّوك إلا بشىء قد قدَّره الله عليك ».

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾(١) ؟.

وبعد.. فإنه إذا تحررت الشخصية من هم الخوف على الحياة، فلا يكون الإنسان جباناً..

ومن هم القلق على الرزق حتى لا ينحرف الإنسان فى طلبه..

ومن الحرص على الوظيفة الذى يقود إلى التسامح فى الكرامة الإنسانية.

إذا استجاب الإنسان إلى الله فى ذلك يكون قد حقق التحرر الذى أراده الله ورسوله للمسلمين.

❑❑❑

(١) سورة آل عمران : ١٦٠.